

ISSN : 2170-0931

المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيسمسيلت - الجزائر



العدد: 04 ديسمبر 2011

المركز الجامعي : تيسمسيلت - الجزائر - الهاتف/الفاكس : 046 47 56 18

منشورات



AL MI'YAR

Revue périodique publiée par le Centre Universitaire de Tissemsilt Algerie

N° 4. Décembre 2011

شارك في العدد

محمد حريش - سميرة رفاس - محمود رزايقية - عبد القادر موفق - رقية حلام - بن خولة كراش
- عبد القادر مزاري - محمد رايحي - بختة لمصب - مصطفى قزوين - عبد القادر زرقين -
مبارك بن الصيبي - محمد عبد الكريم عدلي - سالم حوة - خيرة جلي - عبد القادر راشد
- محمد سايب بن الحبيب - حمزة ضويقي - إلياس العيداني - علي شريفي - هوارى معايدية -
الحبيب صدراقي - حميد نحال - خالد مسعودي.

Centre Universitaire de Tissemsilt Algerie .Tel / fax: 046 47 56 18





المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيسمسيلت-الجزائر

ديسمبر 2011 العدد 04

المركز الجامعي: تيسمسيلت-الجزائر-الهاتف/الفاكس: 046/47/56/18

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

أ. مرسى رشيد

المركز الجامعي: تيسمسيلت. الجزائر.

الهاتف/الفاكس: 046 47 56 18

البريد الإلكتروني:

Rachidmersi @yahoo.fr

ISSN 2170-

0931

شروط النشر وضوابطه

- المعيار مجلة علمية محكمة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.
- دورية تصدر مرتين في السنة عن المركز الجامعي بتيسمسيلت. الجزائر.
- تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.
- تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.
- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.
- تُقدم البحوث والدراسات مكتوبة في ورقة على مقاس (24/17) بهامش 2.5 سنتيم عن يمين الصفحة ويسارها وأسفلها وهامش 2.00 سنتيم عن أعلى الصفحة.
- تتم الكتابة بخط (Traditional Arabic) حجم (16)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (14).
- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة العربية بخط (Times new roman) حجم (14)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (12).
- تكون الهوامش والإحالات في آخر الدراسة ولا يستعمل فيها التهميش الأوتوماتيكي.
- يُقدم البحث في قرص مضغوط ونسخة ورقية مطبوعة.
- لا يقل حجم البحث عن 10 صفحات ولا تتجاوز 20 صفحة.
- الأعمال المقدمة لا تُردّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن أراءك وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

رئيس المجلة: د. بن جامعة الطيب. مدير المركز الجامعي تيسمسيلت
المديرالمسؤول عن النشر د. بلحسين محمد. مدير مساعد مكلف بالدراسات.

رئيس الهيئة أ. دردار بشير.

رئيس التحرير أ. مرسي رشيد.

هيئة التحرير

د. سامي حيلي أ. تواتي خالد
أ. روشو خالد أ. لعقاب الجيلالي
أ. بلخياطي الحاج لونيس أ. يعقوبي قدوية

الهيئة العلمية أ.د محمد عباس. جامعة تلمسان.
د.بوسماحة الشيخ. جامعة ابن خلدون. تيارت.
أ.د مختار حبار. جامعة وهران.
أ.د شريط عابد، جامعة ابن خلدون. تيارت.
أ.د عبد الجليل مرتاض. جامعة تلمسان.
د. عبد القادر راجي. جامعة سعيدة.
أ.د محمد بلوحي. جامعة سيدي بلعباس.
أ.د درواش مصطفى. جامعة مولود معمري تيزي وزو.
أ.د محمد أكلي بن عكي. جامعة الجزائر.
أ.د علي شريفي. جامعة الجزائر.

التنفيذ التقني نورة عرجان

تصميم الغلاف عبد القادر راجي



افتتاحية العدد الرابع

يجدر بنا ونحن على أبواب تحقيق العدد الرابع من مجلة المعيار المحكمة، أن نشير، تكملة لما لم نشر إليه في الأعداد السابقة، إلى ما يحدو مجموعة العمل التي تسهر على إعداد كل عدد جديد من هيئة إدارية وهيئة علمية، وإلى ما يحدوهم من إرادة وعزيمة لبلوغ الأهداف المسطرة لهذه المجلة منذ عدها الأول .

كما نؤكد على حرص هذا الطاقم على توفير فسحة علمية ومعرفية يعبرون فيها عن روح البحث العلمي التي يطمحون إليها وهم في محراب علمي جديد لم يكن من قبل موجودا من قبل هو المركز الجامعي بتيسمسيلت .

وإذ يطمح هذا الصرح العلمي، على الرغم من قصر عمره وقلة تجربته، إلى تبوء مكانة علمية وبحثية جديرة باحترام الجامعات الجزائرية الأخرى الأكثر قدما وتجربة، فإنه يريد من ذلك تحقيق هذه الأهداف المتمثلة في تنمية المنطقة علميا ومعرفيا.

وعلى الرغم مما يمكن أن يبدو من هنات ناتجة عن حماس التجربة الشابة ونابعة من صدق نية، فإن الهيئة الإدارية والهيئة العلمية للمجلة يريد، كل في جهة اختصاصه، أن تتجاوز في كل عدد هذه الهنات حتى تكتمل الصورة - والكمال لله- في ذهن الباحث الجزائري عن منبر يجد فيه ما يليج دوافعه العلمية من تنوع مادة وتعدد تخصصات واختلاف آراء وتوجهات هي من صميم الرؤية العلمية التي تتميز بها العلوم الإنسانية عموما .

وفي انتظار اليوم الذي تكبر فيه جامعة تيسمسيلت - وهو قريب بإذن الله تعالى- وتفتح على تخصصات علمية جديدة منتظمة في كليات لها مجالاتها المتخصصة والمحكمة، فإن مجلة المعيار ستزداد انفتاحا على جميع التخصصات الموجودة بها حتى تمكن جميع الأساتذة من المشاركة بتخصصاتهم في مشوارها العلمي الشاب والطموح.

ولنا أن نشكر جميع من شارك في إعداد الدراسات التي تثري هذا العدد، وجميع من سهر من أجل إخراج هذا العدد وطبعه، وعلى رأسهم السيد مدير المركز الجامعي. فلجميع الشكر ومرحبا بكم وبالعدد الرابع .

مدير النشر

د. محمد بلحسين

محتويات العدد

اللغة والأدب العربي

- الجملة الاسمية والفعلية في التراث النحوي-مقاربة في فاعلية الخطاب بالجملتين في ضوء البنيوية
- 11..... د. محمد حريز
- صوتيات الخطاب وفنيات الأداء
- 23..... د: سميرة رفاس
- الاعراب والمعنى-جدلية الأصل والفرع-
- 30..... أ: محمود رزايقية
- أثر القراءات في الوقوف القرآنية
- 47..... أ. عبد القادر موفق
- ملامح القراءة التفكيكية في النقد الجزائري المعاصر
- 59 أ: رقية حلام
- قراءة في المنجز النقدي عند عبد العزيز حمودة مقاربة نوضيحية
- 67..... أ: بن خولة كراش
- المقاربة الأناسية البنيوية عند [ليني ستراوس] في السرد القصصي
- 79 أ: عبد القادر مزاري
- الدلالات الصوتية للألفاظ المفردة عند ضياء الدين بن الأثير الموصلي من خلال كتاب "المثل السائر"

العلوم القانونية والإدارية

- 92..... أ: محمد راجحي
- أشكال التعاون الدولي في مكافحة الجرائم الدولية
- 102 أ: بختة لعطب
- الصلح في المواد الإدارية
- 111..... الأستاذين: مصطفى قزوان وعبد القادر زرقين
- العوامل المفسرة لظاهرة التهريب في الجزائر (المفهوم والأسباب)
- 121..... أ: بن الطيبي مبارك

–مدى انطباق قاعدة قانون الإرادة بشأن تحديد القانون الواجب التطبيق على عقود الدولة

أ: محمد عبد الكريم عدلي.....135

أ: سالم حوة.....148

–L’apport des tribunaux pénaux ad hoc en matière de crime de génocide

أ: خيرة جطي.....163

–الوساطة القضائية كآلية بديلة لحل النزاعات في ظل قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجزائري

العلوم الاقتصادية والتجارية

أ: عبد القادر راشد.....168

– Le Management de la Qualité Totale

محمد سايب بن الحبيب.....179

– الهندسة المالية الإسلامية كمدخل استراتيجي لتنويع المنتجات المالية الإسلامية (السلم والسلم الموازي نموذجاً)

أ. حمزة ضويفي.....197

– فعالية النظام المالي والمحاسبي المعتمد في دعم مقومات الإفصاح والشفافية وأثره على المؤسسات الاقتصادية

أ: إلياس العيداني.....209

–بطاقة الأداء المتوازن كآلية الجودة الشاملة في المنظمات الباحثة عن التميز

العلوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية

أ. علي شريف.....237

Les valeurs éducatives dans la pratique sportive chez les jeunes footballeurs Algériens

أ. سعايدة هواري.....242

– دراسة الصفات النفسية التي يتميز بها لاعبو الفرق الرياضية المدرسية وعلاقتها بالدافعية

أ: صدراقي الحبيب.....255

– العلاقات العامة في المؤسسات الرياضية الجزائرية-دراسة حالة مديرية الشباب والرياضة بولاية برج بوعريريج-

أ: حميد نحال.....267

– أثر برنامج تعليمي مقترح بالألعاب الحركية الصغيرة والألعاب الشعبية والمختلطة في تنمية التفاعل الاجتماعي

لدى تلاميذ المرحلة التحضيرية(4-5) سنوات بولاية غليزان.

أ. خالد مسعودي.....286

-أثر استخدام تمارين لتنمية بعض القدرات الحركية الخاصة (الرشاقة، التوازن، التوافق) على فعالية أداء مهارات الإلقاء(الرمي) لدى مصارعي الجيدو الناشئين (12-14 سنة)

المقاربة الأناسيَّة البنيويَّة عند (ليفي ستراوس) في السرد القصصي

الأستاذ: مزارى عبد القادر

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم

ما من شك في كون التداخلات، والمفاهيم التي تؤسس لمفهوم موحد ومؤطر لعلم الأناسة¹ يبقى من الأمور البعيدة المطمع، إلا أنَّ المقاربة النصيَّة التي يؤول في قراءتها الاستبطانيَّة للمعارف إلى استجلاء علاقات الإنسان الفرديَّة، والجماعيَّة، من خلال ما يجمعه من استدلالات في أي مجال يخوض فيه، هي من الآليات الممكنة. غير أنَّنا لو أسقطنا هذه الرؤيَّة على المجال الأدبي، نقف على جملة من المفارقات والإشكالات التي يجب الفصل فيها قبل الخوض في أغوارها.

لم يكن التساؤل الذي طرحه (جان بول سارتر) عن ماهيَّة الأدب، من باب الكشف عن تحديد مفهوم له، أو السعي إلى ضبط مبدئه ومنتهاه، أو تسييجه، وإنَّما كان سعيًا للكشف عن معياريَّة، وأسس إجرائيَّة تُبعث منه وتبحث فيه، انطلاقًا من رؤى فلسفيَّة، كما في المنهج الرِّياضي، « انطلاقًا من أنَّ الأدب يسير عبر رواقين أولهما عام، يتمثَّل في كلِّ ما صاغه الإنسان في قالب لغويٍّ، ليوصله إلى الذاكرة وثانيتها خاص، وهو الفنَّ القوليُّ الذي يشمل كثيرًا من الفنون الشعريَّة والنثريَّة كالروايات والخطب، والأمثال والحكم²، ويكون (سارتر) بذلك قد ربط ماهيَّة الأدب برواقين اثنين أحدهما عام والآخر خاص، في إشارة إلى اللُّغة التي هي وعاء الذاكرة، والأجناس الأدبيَّة التي تكشف عن حقيقة تلك اللُّغة المشكَّلة ماهيَّة الأدب.

إنَّ الفعل الأدبي حُلُق مع الإنسان، إنَّه الإنسان ذاته، فقد وجد، حينما أراد الإنسان أن ينطق ويعبِّر، وأنَّ يوظف ما مُيِّز به عن باقي المخلوقات، فالأدب عند بعض العلماء الباحثين تاريخًا للحياة العقليَّة، لأمة من الأمم أو شعب من الشعوب³، إنَّه المادَّة المعرفيَّة الأولى التي اقتحمها العقل البشري، وما لغته وتركيبه التحويلي، إلا تطور منطقي للفكر البشري، على غرار التطور الذي عرفته المادَّة الأدبيَّة، في أجناسها وفنونها، وليس لنا أن نتقيّد بمعيار محدّد للكشف عن مكنون فنونه « فأحيانًا نحتاج إلى التَّركيب اللُّغوي للأدب، وأحيانًا أخرى إلى التفسير الأسطوري الحضاري، أو الكشف الجمالي، أو إلى التَّحليل التَّفسي، أو الاجتماعي، أو الواقعي، أو اللساني، أو الإحصائي، أو الصوتي، أو الفقهي⁴، وكلّ ذلك ينضوي تحت الفعل الأدبي غير المقيّد بمعياريَّة محدّدة.

وعليه، فإنَّ الاتِّكاء على المقاربة في التَّحليل بحسب مناسبتها، يكون أجدى، وأنجع الحلول، وحينما نخصّص على المقاربة الأناسيَّة (علم الأناسة)، فهو مسعى إلى توظيف الأدوات الإجرائيَّة لعلم الأناسة، وإنَّ الأناسي باحث حقّي يساهم في إعادة بناء النص، خاصَّة في بعده الأثنوغرافي، فهو يبحث في العلاقات الاجتماعيَّة والثقافيَّة التي ينبني عليها النص، التي تؤسّس لها المستويات الخطابية المختلفة، وذلك من منظور أناسي تفاعلي يُبرز علاقات التداخل

والتشابه القائمة بين الواقع والخيال، ودور عملية التخييل في ذلك⁵، فالفعل التخيلي، بفضل ما يقوم به من انتقاء، وتركيب، وكشف ذاتي، يقود الواقعي نحو الخيالي، ويقود الخيالي نحو الواقعي: فهو من جهة يعيد إنتاج العناصر الواقعية لبناء مواقف، وتجارب جديدة لا يمكن ردها إلى الواقع، ولا فصلها عنه.

إنّ الأدب، بتنوع إجناسيّاته، عنون لتمرّس فيّ، وإبداعيّ، من جوهر الدّات الإنسانيّة، وما ذلك التّنوع إلا حاجة فرضتها طرائق التعبير الفنّيّة عن الوجدان، والأحاسيس والكيّونة، فالصّور الشّعريّة التي تصنعها الأجناس وإن اختلفت في مورفولوجيّتها، إلّا إنّها لا تعدو أن تمثّل في الأخير خطابا من الرّوح الإنسانيّة يؤطّرها العقل البشريّ، ويؤطّرها نظام اجتماعيّ، ولسانيّ، وثقافيّ؛ فالأسطورة كالرواية والقصة، لا يمكنها أن توفر لنا معنى واحد، فمثلها مثل الحياة، «هي محاولات للتوصّل إلى معاني مختلفة، وصورا للعالم، والمجتمع، والتّاريخ التي تحوم على عتبات وعي الإنسان، الذي يسعى للتساؤل عنها»⁶، ومن ثمّ التعبير عن تلك الأحاسيس التي تعيشها الرّوح الإنسانيّة، المؤطّرة من قبل العقل. ووفق هذه الرّؤية، فإنّ الأديب عبر كلّ الأزمنة هذا حذو المتحرّر من قيد الموضوعيّة، باحثا في فلسفات عن جوهر الأشياء وهيولى الفكر، آثار ما تقرأه النّفس قبل العقل، «فمهمّة الأدب الأساسيّة هي أن يبدع الجمال، ولن يتاح له ذلك إلّا إذا عكس فنّيّا المسائل الجوهرية التي يطرحها عصر المبدع، وإنّما لمهمّة جليلة، ومجيدة، ويكفيه مجدا أن يؤدّيها في كلّ حقبة من حقبة التّاريخ»⁷، إذ إنّ الأديب يعكس تلك الحمولة الفنّيّة التي تبرز مناحي مقومات عصره. حينما، نظرق باب المقصدية، والمعنى، فإنّنا نثير دون شك، مسألة علميّة الأدب، ونحاول أن نتملّص من تلك الرّبقيّة الفنّيّة التي ينفرد بها عن باقي المعارف والعلوم، ولعلّ الإقصاء الذي أتى به الفكر البنيويّ، وخاصّة البنيويّة التكوينيّة لحضور الأديب في فعله الأدبي لتأكيد صاخر عن تلك الغاية؛ حيث استطاع الأناسيون أن يتمرّدوا - بممارساتهم النّقدية وآراءهم الفلسفيّة - على المناهج النّقدية السيّاقية السائدة، وأن يخرجوا البنيويّة التكوينيّة من الأسر الفكريّ، والحصر الذي عرف عنها، خاصة عند (ليفي ستراوس)، «الذي بنى رؤيته البنيويّة على معارف شديدة التنوع تراوحت بين الفلسفة، وعلم النّفس والفرّ، والموسيقى، والأدب»⁸، من حيث إنّهُ تمكّن من أن يتحرّر من قيد البحث عن معنى الكلمة، أو الجملة، داخل البنية النصّيّة، وأقصى الاعتماد على أيّ منهج سيّاقيّ خارجيّ للنصّ، كما عمدت إلى ذلك المدرسة التحليليّة، ومناهج (ديكارت) الاجتماعيّة، لقد أسّس لمنهج هذا مكانة بينيّة، حيث استثمر في الأسلوبين، وسعى إلى أن يبرهن على علاقات سيّاقية من خلال دلائل بنيويّة تحملها مورفولوجية النصّ الأدبي، إيمانا منه أنّه حتى وإن كانت بنية النصّ الأدبي تفرضها نظم لسانية معيّنة، إلّا أنّ مقصدية الأديب تبقى رهينة زمانه، ومكانه، وأعرافه، ومعتقداته، غير أنّه ليس لها في الأخير أن تخرج عن إطار الفكر الإنسانيّ بطبيعته البيولوجيّة الفطريّة. في أيلول 1903 يكتب الرّوائي (ليوتلستوي) رسالة جاء مطلعها «أعتقد أنّ كلّ شعب يستعمل أساليب مختلفة عن مثل مشتركة، وبفضل هذا نتمتّع نحن بلدّة خاصّة عندما نجد مثلنا، وقد انعكست بشكل جديد وغير

متوقع»⁹، وهو تأكيد على أنّ المثل التي فطر عليها الإنسان أيّا كان موقعه، وزمانه، هي المثل التي فطر عليها في طبيعته تميزا بين الشر والخير، بين العطف، والحقد، بين العدل والظلم، بين الموت والحياة. إنّ المتأمل في نمطية الكتابة الروائية عند أغلبهم، يقتنع أن تيمات نصوصهم السردية لا تبتعد عن المثل والثوابت، التي تؤل إلى الإنسان وطبيعته، بغض النظر عن الانتماء، والظرف الزمكاني، والعرف الاجتماعي والطقس، والمعتقد، إنّها البؤر التي حاولت الأناسة البنيوية الخوض فيها وتعريتها.

1- الأناسة البنيوية:

إن معاودتنا قراءة المنهج البنيوي الأناسي، هو إعلان ضمني، عن منطقيّة هذا الطرح في التعامل مع النص الأدبي بأجناسه وفنونه؛ دون إقصاء عنصر من عناصر تكوينه، والتعبير الأدبي كما يقول (توفيق الحكيم) «هو الشكل والموضوع معا»¹⁰، أي أنّ الإلمام بأدبيّة النص وإيحاءاته الدلالية المقصدية، تستلزم حتما الإلمام بالشكل، والموضوع؛ وهو المؤدى نفسه الذي عنيت به البنيوية الأناسية، باحتلالها المكانة البنيّة بين البناء النصي (الشكل)، ومؤدياته الدلالية (الموضوع)، من خلال تقصّي أثر العلاقات الوسطية بين العاملين فالبنيوية الأناسية «تبحث وراء العلاقات المحسوسة عن بنية مخفية وغير موعّية، لا يمكن الوصول إليها إلّا عبر بناء استقرائي لنماذج مجردة»¹¹، والتنقيب في اللاوعي الجماعي.

وفلسفة التعبير عند البنيويين لا تتعدى المخزون العفوي الذي يكتسبه الفنّان، أو الأديب من محيطه، وبيئته، يعكسها بأسلوب ما، فالتعبير الأدبي عند (بارث Barthes) هو «مجموعة من صور، وقاموس تولّد من جسد الكاتب وماضيه، وأصبح آليات فنّه»¹²، والصورة بهذا المعنى، هي إيحاء تلتقطه الحواس، ويعالجه الذهن، «فهي نتيجة ضرورية للتركيب اللاشعوري للإنسان كما أنّها تعبير عن هذا التعبير الشعوري»¹³، والمقصود بالتركيب اللاشعوري، هو مجموع الميولات الباطنية لدى كل إنسان، المولدة لانطباعاته الداخلية والتي يترجّها شعورياً بسلوكاته النفسية كالحب، والكراهة، والحقد، والبغض، والعطف، والتأثر، وهي الانطباعات نفسها، التي ينحو الأديب والفنّان إلى التعبير عنها، إنّها صور عضوية وفطرية تتكون لدى كلّ إنسان.

أمّا فلسفة الشكل عند البنيويين من الوجهة علم الناسة، فقد نحت إلى توجيهين يتماشيان طرّداً، فبينما يرى (كلود ليفي ستراوس)، أنّه ليس لنا أن نخرج من إطار البنية النصية، كيف ما كان جنسها، وشكلها، -ويعرف (ليفّي ستراوس) النظرية البنائية بأنّها تقوم على التمييز بين الصورة والمضمون، بحيث تكمن أصلاتها في طريق تصورها للارتباط بينهما¹⁴، ليجعل من الشكل نواه إلى تقصى الأثر الاجتماعي، فهو يعرض لنا من خلال الأناسة البنيوية كيفية معالجة ميادين مثل: «اللسانيات والتنظيم الاجتماعي، والدين، والفنّ، والطقوس، والأساطير وغيرها، وفق منهج بنيوي متفرد»¹⁵، تؤسسه النماذج، والأشكال المتكررة بوعي، أو بدونه داخل البنية النصية.

أما (غولدمان Goldman)، فقد عمد إلى المزاجية بين البنية، وعلم الاجتماع، لتحصيل مقارنة أناسية مؤكداً أن «أيّ فكر، أو أثر إبداعي لا يكتسي دلالاته الحقيقية إلا عند اندماجه في نسق الحياة والسلوك»¹⁶، وبالإضافة إلى ذلك أنه لا يكون السلوك الذي يوضح الأثر هو غالباً سلوك الكاتب نفسه، بل سلوك الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الكاتب بالضرورة

وهو منأى سياقيّ محض، حيث ينطلق من الموضوع إلى الشكل، أي أنّ تلك الصور اللاشعورية، لا تعكس مباشرة الفعل الأدبيّ، إلا بعد أفق توقّع يعتمد الفنّان أو الأديب في حلقاته الاجتماعية، ولقد ساندته الرأى في هذا (هيرماس وغادامير Gadamer و Heberms)، والمفكر الروسي (ميخائيل باختين Mikhail Bakhtin) المؤكدة على السياق الاجتماعيّ، والثّقافيّ للخطاب، وللنصّ، والأداء والفعل¹⁷، ولا نقرأ في هذا المنحى إلا سعيّاً نحو التأسيس لفكر، أو منهج تكامليّ يجمع بين الشكل والصور الذهنيّة، فالنصّ ليس ماهيّة مستقلة، معزولة، إنّهُ النتيجة الطّبيعيّة لعدّة عوامل ترتبط ببعضها بعضاً ارتباطاً وثيقاً، بعض هذه العوامل ترتبط بالمؤلف، وبرؤيته حول العالم المحيط، أما العناصر الباقية، فترتبط بالوسط الاجتماعيّ، والثّقافيّ الذي أنتج فيه¹⁸. لتمتزج إذك الصورة الطّبيعيّة بالصّورة الذهنيّة.

إنّ النصّ الأدبيّ الذي يقدّمه المؤلف هو خطاب في شكله، وفضاء دلاليّ في مضمونه، تتماهى فيه المعاني، والمقاصد على بنى سطحيّة، وأخرى عميقة و«تتألف البنية من مجموعة عناصر، يمكن لأيّ تحول في أحدها أن يحدث تحولاً ما في العناصر الأخرى، ولذلك نقول إن العبرة في دراسة الظواهر (النظم) الاجتماعية، إنّما هي للوصول إلى العلاقات القائمة فيما بينها»¹⁹ والبحث فيها.

لقد ارتأى النّقاد، ويتقدّمهم السيميائيّون أنّ أولى خطوات البحث عن هذه العلاقات، هو استنطاق مجموع الصور اللفظيّة، أو التّركيبية، التي تتمثّل في رموز، أو علامات أو مؤشّرات، تأتي في شكل تضادات، أو تناقضات، أو مقابلات تعبّر في جوهرها عن دلالتها، أو تأويلاتها، أما النّاقِد في علم الأناسة الاجتماعيّ، أو الثّقافيّ فيرى أنّه ليس مهمّاً من وجهة النظر التحليليّة إثبات العلاقة بين الإنتاج الفكريّ والواقع الاجتماعيّ، بقدر ما هو تحليل أشكال هذه العلاقة في مرحلة معيّنة لمجتمع معيّن²⁰، وعليه فهو لا يكتفي بالكشف عن الدلالات، أو التّأويلات، أو المقاصد، بل يشتغل بالكشف عن الوظائف، والعوامل المشتركة، والمتكرّرة التي تسمو إلى عنصر علائقيّ داخل نظام اجتماعيّ معيّن .

فالأناسة البنائيّة عند (ليفى ستراوس) تبحث عن تفسير النسق في بناء مستتر، ولا شعوريّ، ويتّصف بالثبات، وهو بالتّالي لا يدخل في نطاق الظواهر الملاحظة²¹، فالملاحظة كما عرّفها هي خطوة تلحق الفكرة، والفكرة لاحقة بالصّورة، أما البناء المستتر فهي تلك العلاقة البينية بين الفعل وردة الفعل، كأنّ نفس صراعا بين شخصين في حالة صدام دائم، ونعللها بعلاقة (العداء)، فالعداء علاقة مستترة لا تقابلها صورة، أو ملحوظة علاقة تبادل خفيّة تؤدّي إلى نشوء ظاهرة اجتماعيّة، فالتفسير الذي يلحق العلاقة، من شأنه أن يكون محدداً حتمياً للظاهرة، وطبيعتها،

فالعلاقة البنائية مثلت الجوهر، أو التّواة في علم الأناسة البنائية، ولم يجد (ليفستراوس) من تعميم هذه التّظرية على كلّ الظّواهر الاجتماعيّة، فاللّغة مثلاً، من حيث هي ظاهرة اجتماعيّة تؤدّي إلى فعل التّواصل، لا تعدو من أن تكون نتيجة لعلاقة تبادليّة بين أفراد المجتمع، وعلاقة لسانية بين الدّالّ (signifiant)، والمدلول (Signifié) وعليه فالبحث في موضوع علم اللّغة هو الانتقال من دراسة الظّواهر اللّغوية الشّعورية على بنائها التّحتي اللاّشعوري²²، ومردّ ذلك عائداً إلى أنّ: اللّغة بهذا المعنى، ما هي إلّا صورة أو مظهر خارجيّ لبنيات جوهريّة، وهي الخلاصة نفسها، التي « وضعها (سوسير Saussure) لهذا الاكتشاف الجوهري هو أنّ اللّغة شكل، وليست جوهرًا وهذا اكتشاف لولاه لما كان أيّ عمل من الأعمال التي نشرها (ليفي ستراوس) وبارت وغيرهما ممكنا »²³ فاللغة إذن هي المظهر الخارجي لبنيات النّص المختلفة.

ولئن كان مسعى أصحاب هذا التّوجه قد جسّدته الأناسة البنائية، إلّا أنّهم يخطفون مع (ليفى ستراوس)، في اعتمادهم أكثر من بنية، في النّص الأدبيّ عاقّة، فهم يذهبون إلى أنّ البنية السوسيونصيّة هي بنية صغرى تتحرّك بالتّوازي مع البنية النصيّة الكبرى، والعلاقة بينهما علاقة جدليّة، حيث تغدو «العلاقة بين النّص، والمجتمع علاقة جدليّة حقاً، لأنّ المجتمع هنا يصبح عنصراً تاريخيّاً، ومنظوراً إليه في مسار تحولاته الفكرية والماديّة»²⁴، فالبنية السوسولوجيّة بهذا المعنى، هي بنية متحوّلة غير ثابتة عكس البنية النصيّة؛ وعليه، فإنّ النّاقّد السوسيونصاني، أو الأناس البنيويّ مطالب بأن يراعي هذه الخاصيّة التّحوّليّة في البنية الاجتماعيّة، وألّا يتعامل معها (سانكرونيا Synchronique) كاللّغة، لأنّه إن اعتمد على المصادر التّاريخيّة، يبقى قابعا تحت سلطة الدّاتيّة لدى (الإنوغرافيين)، وهي سلطة تكسّر الموضوعيّة التّفسيّريّة التي يسعى عالم الأناسة بلوغها.

ولما كان من العسر « الحصول على يقين تاريخيّ، بلا ريب، ولكي يمكن التّوصل إلى احتمالات دقيقة جدّاً نتناول بعض الظّاهرات أو مجموعات من الظّاهرات، محدودة الامتداد في المكان والزّمان»²⁵، وهو ما نلاحظه في التّحليل البنيوي الأناسي، الذي يركن إلى تصنيف أحداث الأسطورة، أو الرّواية مثلاً ركونا اختياريّاً، من أجل استجلاء العلاقات، ومعياريّة الاختيار لدى (ليفي ستراوس) في تحليله الأسطورة كانت شيوع الحدث عند الإنسانيّة، أو الاستلزام المنطقيّ للحدث، كالانتقام الذي يتبع الظّلم، أو موت الشّخصيّة الشريرة التي يتبع انتصار الشّخصيّة البطلية، ويرى (ليفي ستراوس) أنّ القيمة الدّاتيّة المنسوبة إلى الأسطورة تنجم عن أنّ هذه الأحداث، المفروض أنّها حدثت في لحظة من الزمن، تؤلّف أيضاً بنية دائمة، وهذه البنية تتعلّق في آن واحد بالماضي والحاضر والمستقب²⁶ حيث يصبح المعلم الزّماني ثابتاً مستقرّاً، الأمر الذي يخول للنّاقّد أن يستقرّ عناصر الحدث، أو (الأسطوريّات) كما يسمّيها علم الأناسة قراءة موضوعيّة بحسب العلاقات النّاتجة عن تلك الوحدات، لينماز تأويله لتيماها وتفسيرها بالمنطقة والإثبات.

لقد رأى (ليفى ستراوس) في الشّمس عنصراً أسطوريّاً، أو تيمة أسطوريّة نسجت من خيال مؤلّفها، بمراعاة أفق توقّع متلقّيها، يقوده إلى الكشف عن بعد أناسي يحيل إلى الواقع (الله)، ومن ثمّ يُحيلنا النّاقّد على حقيقة اجتماعيّة

إثنيّة، عند المجتمع الذي حيكت حوله الأسطورة «وعادة العنصر الأسطوري يلد من تقاطع الواقع مع اللاواقع، مع الخيال»²⁷ إنّها الأفضليّة التي تمدّنا بها الأناسة في تفكيك مجموع البنى العميقة، وتقودنا حتما إلى تعرّية كثير من اللبس عن العلاقات ذات الطابع الاجتماعيّ، في نصّ الرواية.

2- المقاربة الأناسيّة للرواية.

إنّ الأعمال السردية من رواية، وقصّة، وحكاية مكتوبة كانت، أو منطوقة، قد واكبت تطور الإنسان مذ حياته البدائيّة الأولى، وبذلك فإنّ القصّة القديمة قد اتخذت في مفهومها بعدا محوريّا جامعا لنشاطات الإنسان المتعدّدة، وحتىّ أنّه سلّط الضوء - حسب المفهوم المعاصر - على ميادين كثيرة من العلوم الإنسانيّة، فالقصّة القديمة تشكّل من وجهة علم الأناسة، أحد المعالم الكبرى التي ساعدت الإنسان الوصول إلى كثير من الإنجازات، من خلال اقتباس كثير من أبعاد مظاهر الحياة (التاريخية والاجتماعية، والنفسيّة، والفكرية، حتى البيئيّة وغيرها) التي تشدّ المتلقّي من خلال السرد.

خاصّة إذا اعتبرنا أنّ العمل القصصي يشكّل «الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانيّة وتتطور، إنّّه يشمل كلّ الرّموز الذهنيّة مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزّمان»²⁸، وبالإضافة إلى ما في ذلك من تسليّة فهي تساهم في التطور الفكري، ونقل خبرات الأسلاف، ذلك إذا وضعنا في الاعتبار أنّ للقصّة ميزة الطابع التّراكمي للإنجازات السابقة، والمبتكرات، وأنّها تكتسي طابع ديمومة الأحداث واستمرارها.

فالقصّة هنا غير مرتبطة بجيل من الأجيال، أو عصر من العصور، أو مجتمع من المجتمعات، إنّما هي توارثيّة، توارثها الإنسان عبر الأجداد، والآباء فالأبناء ثمّ الأحفاد، ولو اختلفت مضامينها بين هذه الأجيال المتعاقبة في ربطها بالواقع المعيش، والنّظر في انسجام الأحداث، إلّا أنّها ظلّت دائما خاضعة إلى سرد حادثة -تتفاوت من حيث البساطة والتّعقيد والاختلاف بحسب الجوانب الفكرية، والحضاريّة التي تختلف من جيل إلى آخر- ويعود ذلك لكون الإنسان يستطيع أن «يختزل حقيقة الكون والإنسان في صيغة محكمة مترابطة»²⁹، ومن ثمّ فإنّ تلك الوقائع، والأحداث تهدف إلى إسعاد الناس والترويح عنهم، كما أنّها في الوقت ذاته تحاول جاهدة، أن تعكس نظرهم الفلسفيّة للحياة من خلال الكشف عن نوعيّة هذه الأحداث، وطريقة العرض لها ف «الأزمة السعيدة ليس لها فلسفة أو إنّ جميع الناس في تلك الأزمة فلاسفة يوجد في حوزتهم الهدف الطوباوي لكلّ فلسفة»³⁰، وإنّ لكلّ زمن سعيد فلسفة خاصّة قد تتقاطع، أو تختلف من جيل إلى جيل.

وما يجعل هذه الأحداث مشتركة بين مختلف الأجيال، هو تساوق أجزائها في خط معيّن يتكون من ذلك السرد، فهو بناء له طابع الوحدة الفنيّة التي تسعى إلى الإمتاع في الدّرجة الأولى، ثمّ أخذ العبر، والدّروس، فهي تركيب تتحرّك فيه الأبطال فتثير في نفسيّة المتلقّي جملة من المظاهر، كالتعاطف معها، وحبّها، والخوف على مصيرها، أو

الوقوف ضدها وكرهها، والوشاية بها - إن أمكنها ذلك - وذلك ابتداء من امتداد الأحداث، وتطورها، وتأزمها إلى غاية انفراج هذا التأزم، والوصول إلى حل.

إن الممارسات النقدية السياقية لم يكن لها أن تنسلّ من مطبّة الوقوع في الهنات التي قد تجعلها تغفل عن مساءلات عدّة تترنّح في المتن السردي، على الرغم من أنّها تمثّل تمفصلات جوهرية تحيل إلى جوانب الإنسان النفسية، والفكرية، الإبداعية والاجتماعية؛ وهو ما يمثل لنا دعوة متجدّدة إلى استنطاق مظاهر السرد من خلال الوصف، والتحليل، وتفكيك تلك العناصر بمنظور محايث، يبحث في العلاقات التي تؤدّيها بُنى السرد مع السياق على الترابط من ذلك، علاقة الأسطورة بالأناسة من الوجهة الإبداعية، خاصة إذا وضعنا في الأذهان أنّ الأبحاث الحديثة تكاد تُفق كلّها على أنّ الأسطورة ملكة ثابتة، بل يذهب (ليني ستراوس) بالقول: إذا كان محتوى الأسطورة عرضيًا، أو اعتباريًا لا يخضع لقواعد المنطق، أو لقواعد الكلام، فكيف نفسّر تشابه الأساطير من أقصى الأرض إلى أقصاها؟³¹، وليس هذا فحسب بل الحضور الكبير للميثولوجيات الكبرى في هذا الزمان.

ذلك ما يحيل إلى ظاهرة الثقافة بين الشعوب، في شتى مناحي الحياة كالمنحى الدينيّ التصوّفيّ، ودور الإيديولوجية في صقل الأفكار، وتأثير العرف والتقاليد في تشكيل الأنماط العليا للمجتمعات البشرية، ف «الأسطورة تشتمل أيضاً على حقائق يمكن أن تنكشف بوضوح إذا عرفنا كيف نفسرها، بعد ربطها بشرطها التاريخي»³²، بالإضافة إلى ذلك سوف تعترضنا كثير من علامات الاستفهام، ولعلّ منها ما يكون أشياء مسلما بها عن اقتناع، وأخرى ينبغي ألا نجمع العنان للخيال في تفسيرها، لأننا ندرك أنّه: «لا يزال الوقوف على الأطلال، ممثلة في الآثار المادّية، والذكريات الإنسانيّة. أحبّ إلى النفس من الوقوف عند القدرات الحضاريّة الحديثة، لأنّ الماضي أفعّل في النفس من الحاضر، ومن المستقبل، لأنّه يدغدغ مشاعر الفاشلين والمطحونين، ومن تنكبوا أيسر السبل وأقربها إلى النجاح»³³، فالنفس البشرية تحنّ إلى الماضي إلى حياة الطفولة.

ولأنّنا نعتقد أنّ الحوادث على اختلافها غير ظاهرة للعيان للحياة النفسيّة، وإلّا كان الاكتفاء بالمنهج التجريبيّ سبيلا للوصول إلى معرفة ما شكّل على الإنسان فهمه لكن الحياة الإنسانيّة بشئى جوانبها مخفوفة دوماً بالمخاطر، والغموض، والتوق إلى فكّ طلاسّم هذه الإشكالات، فجاءت بذلك سيّاقات أفكارنا مكونة من شكوك وتجارب، وتناقضات تكاد تكون جميعها غريبة تماماً عن حياة الإنسان البدائيّة؛ بل وعن بعض حياة الإنسان المعاصر.

فها هي كثير من الظواهر تفسّر على أساس أسطوريّ قد يتفق هذا التفسير والعقل كما قد يختلف عنه، لأنّنا ندرك جيّداً أنّ دارس الأساطير سرعان ما يقع في نوازعه الغريزيّة وتأويلاته، ومن ذلك نجد اشتراك (إيفانز برتشارد (Richard J. Evans) و(كلود ليني ستراوس) في تعليقهما على أنّ (فرويد (Freud) في تحليله أسطورة أوديب، قد ابتدع أسطوره الخاصّة عن الأب البدائي، الذي قتله الأبناء، والتهمّوه ثم عبّوه في صورة طوطم. ومن وجهة نظر (ستراوس) أنّه يمكن رصف أسطورة (فرويد) في عداد الأساطير الأدبيّة العديدة.

لذا فإننا لن نكون مبالغين إذا قلنا: إنَّ الإنسان ليس واحداً، إنّما هو متغيّر، يتميّز إنسان عن آخر بتميّز الجماعات، والأفراد، والأمم، إلّا أنّ الدّراسات الإنسانّيّة على اختلاف نتائجها، وتباين ميادينها، كالأدب، والفلسفة، والدين والتّاريخ، تتقاطع، وتختلف، وقد تشترك في بحوثها للاقتراب من معرفة هذا الكائن من مناح عديدة، ذلك الكلّ المعقّد الذي يتضمّن المعرفة، والعقيدة، والفنّ، والأخلاق والقانون، والعرف، والعادات، وكلّ المقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع.

وهل مقومات الأمانة تحافظ على حضورها مهما تعاقبت الأجيال؟، وتعددت المناهج، واختلفت العلوم؟ أم أن ذلك ليس كفيلاً لدفع الأجيال المتلاحقة إلى الأمام؟ وهل هذا المخيال الأدبي جاء عفواً في شكله، ومضمونه؟ أو أنّ نمطيّة رسم الحيّز، والحد، قد تمّ القيام بهما سلفاً من قبل السّلطة المهيمنة على الفكر والإبداع؟ ولا يتأتّى لنا معرفة ذلك إلّا إذا تمّت عمليّة تتبّع العمل السّردى الحكائي قصّة كانت، أو رواية بعيدة عن الأجناس الأدبيّة التي صنّفت عليه في العصر الحديث.

لا جدال في أنّ جنس الرواية، بات أكثر الأجناس الأدبيّة تمرساً وظهوراً لدى رجال الأدب من المؤلّف إلى النّاقّد، ومرّد ذلك في اعتقادنا، هو التّأثير المباشر بالنهضة الفكرية التي أحدثتها التّيارات الغربيّة الحديثة، والرّوى الجديدة التي أصبحت تلازم مفهوم الأدب ملازمة عامّة، والرّواية خاصّة.

لقد اعتلت النّصوص النّثرية الحكائيّة مصفوفة الأجناس، وبات خطابها يشكّل مرساة للفكر قبل الفنّ، ولم يعد الخطاب القصصي يمثّل ما عرفه الإنسان الأسطوريّ الأول، خطاباً تفسيريّاً أو خطاب محاكاة كما عند (أرسطو) والإغريق، لقد جعل النّقد الخطاب كيّاناً وحسّاً معرفيّاً فلسفيّاً توقعيّاً.

كما أنّ المتنبّع مسار التّوجه النّقدي الحداثي، وما استقر عليه من أطر تحليليّة، يقف على أنّه تعامل مع الخطاب الحكائي من حيث هو «خطاب محنة»³⁴ يحركه هم استراتيجي، تتجاذبه قوتان فاعلتان، ترهن أولاهما سلطة النّص، « بوصفه بنية لغويّة وإشاريّة محايدة ومكتفيّة بذاتها، ترفض الإحالة إلى كلّ ما هو خارج إطارها اللّغوي (الألسني) كالمؤلّف، والواقع، والتّاريخ »³⁵، وثانيهما سلطة القراءة، التي تنفتح على مكونات العمل الفنّي، والتي تسمّى أحياناً بـ « خارجيّات النّص كدور المؤلّف، والقارئ، والمرجع الخارجيّ - الاجتماعي والتّاريخيّ - »³⁶، وذلك درب كلّ متنبّع لمسار التّوجه النّقدي الحداثي.

إنّ هذا التّجاذب، والصّراع الفكريّ في قراءة النّصوص السّردية، وتفسيرها بتنوعها، فتح أفقاً جديدة لدى النّاقّد في كشفه عن الغيبيّات الفكرية، التي يحملها النّص بحمولته الدّلاليّة، التي تمثّل في جوهرها فضاء معرفي للقارئ، هوما يترجمه (بارث Barthes) بالقراءة المتجدّدة، للنّص الحكائي يتحدّد، ويتماهى بحسب أداء « لراوي الذي من خلاله تتحدّد (رؤيته) إلى العالم الذي يرويّه بأشخاصه، وأحداثه، وعلى الكيفيّة التي من خلالها أيضاً - في علاقته بالمروي له - تبلغ أحداث القصّة إلى المتلقّي »³⁷.

لا اختلاف في أنّ الأدب القصصي في مؤداه العام يتصور في نماذج ثلاث: قصّة قصيرة، وقصّة، ورواية، فإذا سلّمنا جدلاً بالتّعريفات المعاصرة على سبيل المثال، التي تعرّف القصّة القصيرة على أنّها « سرد قصصي قصير نسبياً، يهدف إلى إحداث تأثير معيّن، وفي أغلب الأحيان تركز على الشّخصيّة الواحدة في موقف واحد في لحظة واحدة في مكان بعينه »³⁸، وأنّ القصّة هي عبارة عن سرد «واقعيّ أو خياليّ للأفعال يقصد به إثارة الاهتمام أو تنقيف السّامعين، أو القراء»³⁹، وأنّ الرواية هي « سرد قصصيّ ثريّ طويل يصور شخصيّات من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد»⁴⁰.

فإنّ الفعل الروائيّ، وعلى الرّغم من حداثة عهده، يعتبر امتداداً لفعل القصّة الشّفاهيّة، والقصّة المرويّة، والأسطورة الممثّلة، فالرواية شكل قصصيّ بينائها وبأسلوبها وقرائنها ووظائفها، ووحداتها، والاختلاف لا تحدّه إلا معايير موضوع السّرد، فالقصّة والحكاية تهتم بتعاقبيّة حدثيّة لشخصيّة بطلّة في فعل صراع واحد، وعقدة واحدة، بينما تكون الرواية قصّة شاملة لعدد من الشّخصيّات الرئيسة، وذات مواضيع متشابكة، وتروي حكاية مجتمع بأكمله فترة تمتد أحياناً لتشمل عصراً بأكمله⁴¹، وهوما يجعل من نصّها شاهداً مادياً ومعنوياً فهي «تنبثق من تجربة الفرد، أو الجماعة من ناحية، وتفعل فعلاً دينامياً في حياة الفرد والجماعة من ناحية أخرى»⁴².

فالرواية بهذا المعنى، في حركة تواتر فكريّة، وثقافيّة دائمة، حركة فعل وردّ فعل، ما بين المنتج، والمتلقي، وليس لطبيعة الفعل بينهما أن تتعدّى العرف، والمتفق عليه، فأنت لا تخاطب النّاس بما لا يفهمون، أي أنّ المجال الذي يتحرّك فيه المؤلّف هو الفضاء ذاته، الذي تقبل أن تسبح فيه محيطة المتلقّي، وإن تفاعل معها، فمعنى ذلك أنّ « الرواية أتت حسنة، وتكون قد لامست أو عاجلت موضوعاً اجتماعياً وأخلاقياً يفيد»⁴³، وإن رفضها وصدّها، فذلك تدليل على أنّها كانت خارجة عن إطار إدراكه المعرفيّ، وردّة الفعل هذه مردّها، الوعي الاجتماعيّ، أي مجموع التّوافقات المعرفيّة (Harmonie cognitive) التي تجمع الكاتب، وجمهور القراء معاً، ف (غولدمان Goldman) يرى أنّ «الرواية تشكل العمل الأدبي الذي يعكس الحياة اليوميّة في المجتمع، وأنّ الشّكل الروائي يظهر لنا نقلاً للحياة اليوميّة»⁴⁴. والنّقل بهذا المعنى، هو شكل من أشكال المحاكاة التي عرّفها النّظام السّردّي في بداياته الأولى مع جنس الأسطورة. حيث كانت المحاكاة، أو التّمثيل بالمعنى الأرسطي شكل من أشكال التّفسير، والتّعبير، والصّراع مع قوى الطّبيعة في قالب إنسانيّ.

إنّ حلقة الباتّ والمستقبل، والنّص، في الأجناس القصصيّة، تتفرد بالصّرامة والصّعوبة، حيث تعلن الملكة الفنيّة للمبدع عن عجزها في كثير من الحالات عن كسر حاجز الاستيعاب لدى المتلقّي، لأنّه يعدّ عنصراً مكتملاً ومؤسساً للحلقة التّواصلية، ففي الآن الذي يمثّل فيه صاحب ردّة الفعل المعبّرة، فهو في الآن نفسه منبع تلك الملكة في جانبها المنطقيّ خاصة، فهو الذي يحدّد حدّة الصّراع، وهو الذي يعطي الحبكة القصصيّة بُعداً التّشويقي، وهو

الذي يصنع أفق التوقع. وعليه فال فئة الاجتماعية هي «المبدعة الحقيقية للآثار الأدبية والفنية والفلسفية، وما الكاتب، أو الفنان أو الفيلسوف سوى وسائط تعبير، أو عناصر من النسق الكلي، هو الطبقة الاجتماعية»⁴⁵.

إنّ عنصر المجتمع، يتمثل في الجنس الروائي، في صورة عنصر بنائي في الحلقة التواصلية، وعنصر بنائي في بنية القصة الفنية، إنّ القصة قد ظهرت مع ظهور النص وأن أيّ شعب لم يخل من القصة⁴⁶.

ومن ههنا، تتجلى هيمنة المقاربة الأناسية في التعامل مع السرد القصصي، لأنها تحاول المسك بكلّ ترابطات عنصر المجتمع داخل البنية النصية للقصة أو الرواية، « فهي تشتغل على محورين متناظرين في تفكيك تلك البنيات والكشف عنها، أولهما استدلاليّ نقديّ، يبحث في المقومات الأساسية التي تعطي العمل الفني وحدته، أي بنيته الدلالية»⁴⁷، وهو ما يجسده الطرح البنيوي عند أغلب الأناسين، وثانيهما إقامة صلة مستمرة بين البنية الدلالية، و(رؤية العالم)، وفق منظور الطبقة الاجتماعية التي تفرزها حقبة تاريخية معينة⁴⁸، وقد استمرت صلة القصة بحقب تاريخية لمجتمعات مختلفة.

فعلم الأناس لا يتوقّف عند تحديد التفسيرات التي تلحق بتيمات الرواية أو القصة، ولا عند الوظائف النسقية التي تؤديها، بل يذهب إلى الكشف عن كنهها السياقية. كتب (هربرت سبنسر هدي Herbert Spencer Hadley) عام 1878 يقول: إنّ القصص أو السير بالنسبة إلى علم الأناس تماثل التاريخ بالنسبة لعلم الاجتماع⁴⁹، حيث يتركّز الجهد في الكشف عن كلّ الملابس الرمائية والمكائنة التي تلحق بكلّ دلالة تيمية.

إنّ البحث عن الدلالات النسقية للتيمة في علم الأناس، يُعد مرحلة أولية، لن تكتمل، إلا من خلال البرهنة لها بالمقابلات السياقية التاريخية والاجتماعية التي انطوت تحتها كلّ عناصر الرواية، والتي تؤول في الأخير إلى الطبيعة الإنسانية، بعواملها البيولوجية، أو الثقافية. فالرواية هنا، «تنشط كعمل فنيّ على مستويين: مستوى الواقع (الفنّ مرآة المجتمع)، ومستوى الأسطورة»⁵⁰، أي أنّها تنشط وفق النظام الألسني الذي يشكّل خطاب الرواية، والبعد التخيلي الذي يشكّل الجانب الفني والإبداعي للمؤلف والكاتب.

ووفق هذا المنظور، حاولت الأناس تقديم أنموذج تحليليّ، يوافق بين المطلبين: المطلب الاستدلالي، أو التفسيري باعتماده على المستويات اللسانية لنص الرواية (الصوتي، الإفرادي، التركيبي، الأسلوبي)، اعتباراً أنّ النظام الشكلي (formel) للنص قد يسهم في فكّ السنن التي بنيت عليها عناصر المضمون «فالقصة لا تتحدّد بمضمونها فقط، ولكن أيضاً بالطريقة التي يقدّم بها ذلك المضمون»⁵¹. وهو ما يشكّل بنية النص العميقة، حيث أنّ تلك البنى تحيل مباشرة إلى اللاوعي الاجتماعي الذي يوظفه المؤلف ويستوعبه المتلقي في الآن نفسه، ويرى (ليفى ستراوس) أن البنية التي تستبطن أيّ أسطورة، هي بنية من أربعة مفردات يرتبط كلّ زوجين متقابلين منها بالزوجين الآخرين والمعادلة الناتجة عن ذلك هي:

أ : ب :: ج : د.⁵²

و(أ، ب)، و(ج، د) هي تقابلات لفظية إما ضدية، أو تقابلات تناقض، إنها القرائن التي تكون المربع الأرسطي في الكشف عن الدلالات المضمرة في اللاوعي الإنساني.

أما المطلب الثاني، فيتجسد في استشفاف مجموع العلاقات بين تلك المدلولات والتفسيرات وأبعادها الأناسية، خاصة ما تعلق بموضوع التيمة. وهنا، عمد (ليفي ستراوس) إلى مبادئ النقد الأسطوري الذي أسس له، ويجب أن نشير إلى أنّ توظيف جنس الأسطورة لا نعهه عائقاً أمام نظيره -جنس الرواية - من حيث أنّ البنيوية تعاملت مع التصوص السردية القصصية بالفلسفة نفسها.

وليس بعيداً عن هذا التوجه، نجد السيميائي (جرىماس Grimas) الذي لم تكن تستهويه البرهنة السياقية بأي حال من الأحوال، بل حتى البنيوية يؤكد النجاعة التي أثبتتها النقد الأسطوري عند « ليفي ستراوس ابتداء من دراسته التي أخلصها للأسطورة في التفرقة بين الدلالة الظاهرة التي يكشف عنها النص القصصي للأسطورة، وبين معناها العميق الاستبدالي»⁵³.

فالبنى العميقة التي كان يبحث فيها البنيويون لم تكن لتؤكد عن ثبوت المعنى، بقدر ما كانت تبحث عن إثبات علاقة الترابط بين عناصر النص، علاقات اللاوعي فهم لا يسعون إلى تفسير النص القصصي أو الروائي، بقدر ما يسعون إلى إمالة اللثام عن النظام الذي يتيح للنصوص الروائية أن تتولد ويتيح للقراء أن يعطوها المعنى⁵⁴، ومن ثمّ يجيئ دور الأناس في توظيف تلك المعاني، من خلال ربطها بعلاقات أوسع نطاق، اعتماداً على الأسبقية التاريخية والاجتماعية التي تلازم تيمات الأسطورة، أو القصة.

الهوامش والإحالات:

1- النياسة والأناسة: وهو العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلّها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعاً (الجباوي 1997 ص9) من تعريف الأنثروبولوجيا. كما أنّ مصطلح علم الأناسة هو العلم الذي بواسطته، وقبل علم النفس ذاته، يستطيع معرفة الإنسان في أصوله العرقية، وتاريخه الحضاري، وعلاقته بالعالم الخارجي.. بل الإيغال في معرفة معتقداته، وعاداته، وتقاليده، وأعرافه، وكلّ علاقاته بالطبيعة والكون ينظر: عبد المالك مرتاض: المعلقات السبع، مقارنة سيميائية أنثروبولوجية، اتحاد منشورات العرب، سوريا. ص10.

2- عثمان موافي: في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث، ج2، دار المعرفة الجامعية، 2000. ص 176.

3- عثمان موافي: م، س، ص 173.

4- محمد بركات حمدي أبو علي: دراسات في الأدب، ط1، دار وائل للنشر، 1999، عمان. ص5.

5- ينظر فولفغانغ إيزر: التخيلي والخيالي من منظور الأنثروبولوجية الأدبية. ترجمة حميد الحمداني والجيلالي الكدية. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998، المغرب. ص 3.

6- كلود ليفي ستراوس: قراءة في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر، ترجمة عبد الله عبد الرحمن يتيتم، ط1، إصدارات بيت القرآن، مارس 1988، المنامة، البحرين. ص 32.

7- ميخائيل عبد: أسئلة الحداثة بين الواقع والشطح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، سوريا. ص119.

- 8- كلود ليفي ستراوس: م.س، ص 42
- 9- ف، غ، أدينوكوف: فن الأدب الروائي عند تلتستوي، ترجمة محمد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، القاهرة. ص17.
- 10- توفيق الحكيم: التعادلية، ص. 71.
- 11- جان بناجيه، البنيوية: ترجمة عارف منمنة، بشير أوبرية، ط4، منشورات عويدات بيروت 1958، لبنان. ص 88.
- 12 - ينظر: رولان بارث Barthes: الدرجة الصفر للكتابة، ص 18-19
- 13- Golfin Jean, les 50 mots clés de la sociologie privat, Toulouse 1972, p.139
- 14- عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2003، سوريا ص 158
- 15-levis stauss, structural antropology, vol1, 1973
- 16- محمد نديم خشفة: تأصيل النص، المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدما، ط1، مركز الإنماء الحضاري حلب، 1997، سوريا. ص 10.
- 17- كلود ليفي ستراوس: قراءة في الفكر الانتروبولوجي المعاصر، م.س، ص 100
- 18- قاسم مقداد: هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي، ط1، دار السؤال للطباعة والنشر بدمشق، 1984، سوريا. ص18.
- 19- عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، م.س، ص 158.
- 20- م.ن، ص 92.
- 21- ينظر: عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو، دار المعارف، 1989، ص 3.
- 22- عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو، دار المعارف 1989 ص 4.
- 23 - جون ستروك: البنيوية وما بعدها من ليفي ستراوس الى دريدا، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة 2006، الكويت. ص 19.
- 24- م.ن، ص138.
- 25- كلود ليفي ستراوس: الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1977، دمشق. ص21.
- 26- م. ن، ص247.
- 27- قاسم مقداد: هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي، ط1، دار السؤال للطباعة والنشر بدمشق، 1984، سوريا. ص79.
- 28- آلان روب جرييه: نحو رواية جديدة، تر. مصطفى إبراهيم مصطفى، تقديم، لويس عوض، دار المعارف . القاهرة. ص 11.
- 29- نجيب، محمود زكي: هموم المثقفين ط1، دار الشروق، بيروت 1981- سوريا. ص 12.
- 30- ج.لوكاتش: نظرية الرواية، تر:الحسين سحبان، منشورات التل، الرباط، 1988، المغرب. ص24.
- 31- كلود ليفي ستراوس، الإناسة البنيائية، ج الأول تر: حسن قبیس المركز الثقافي العربي، 1995 بيروت. ص 227.
- 32- سيد القمني: الأسطورة والتراث، دار سينا للنشر، والصقر العربي للإبداع في ليماسول، 1992 القاهرة. ص 12.
- 33- كامل سعفان: موسوعة الأديان، معتقدات آسيوية، (العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان) ط1، دار الندى. ص6.
- 34- محمد لطفي اليوسفي، الشابي منشقا: الكتابة بالذات بجراحاتها، دار سراس للنشر، 1996، تونس. ص07.

- 35- فاضل ثامر: الصوت الآخر، الجوهر الحوارى للخطاب الأدبى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992، العراق. ص 226-227.
- 36- م.ن، ص 228.
- 37- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائى "الزمن، السرد، التبئير"، ط 1-، المركز الثقافى العربى، الدار 1989 البيضاء. ص 284.
- 38- إبراهيم السعافين وآخرين: أساليب التعبير الأدبى، ط 1، دار الشروق والنشر والتوزيع، 1997. ص 294.
- 39- إبراهيم السعافين وآخرين: أساليب التعبير الأدبى، م.س، ص 294.
- 40- م.ن، ص 295.
- 41- محمد على عارف جعلوك، أصول التأليف والإبداع، ط 1، دار الراتب الجامعية، 2000، بيروت. ص 25.
- 42- ينظر: م. ن، ص 128
- 43- ينظر: حاج معنوق محبة، أثر الرواية الواقعية الغربية فى الرواية العربية، ط 1، دار الفكر اللبنانى للطباعة والنشر، 1994، ص 16.
- 44- محمد عزّام، التحليل البنىوى للرواية، العدد 360، مجلة الموقف الأدبى - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب نيسان 2001، دمشق، سوريا. ص 136.
- 45- محمد عزام، المنهج الموضوعى فى النقد الأدبى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، سوريا. ص 56.
- 46- ينظر: رولان بارت، مقدمة إلى التحليل البنىوى للقصة، م.س، ص 17.
- 47- محمد عزّام، التحليل البنىوى للرواية، م.س، ص 136.
- 48- م.ن، ص 138.
- 49- محمد على محمد، مقدمة فى البحث الاجتماعى، دار النهضة الغربية، بيروت، 1982، ص 262.
- 50- محمد عزام، المنهج الموضوعى فى النقد الأدبى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص 112.
- 51- محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبى على ضوء المناهج النقدية الحداثيّة، منشورات اتحاد كتاب العرب، 2003، دمشق. ص 329.
- 52- السيد إبراهيم، نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبى فى معالجة فن القصة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998، القاهرة. ص 38.
- 53- ينظر: م.ن، ص 38.
- 54- ينظر م. ن، ص 27.